IJHER International Journal of Humanities and Educational Research
ISSN: 2757-5403
Volume 5, Issue 3, June 2023

Received: 09/04/2023 **Accepted:** 28/04/2023 **Published:** 01/06/2023

PRESENCE AND ABSENCEAND THEIR MANIFESTATIONS IN THE ALGERIAN POETIC DISCOURSE

READ IN THE POEM (LOVE FROM ALGERIA) IN FAVOR OF SALAH KHARFI

Souad BENMAMAR [1]
Dr., Abou Bekr Belkaid University, Algeria
Hamida TAKABAIT [2]
Dr., Abou Bekr Belkaid University, Algeria

Abstract:

This research aims at proofing the dialectic of "presence and absence" through the study of the structure of SalihKhorafi's poem entitled "Love from Algeria". It unveils the semantic diversity of the poet's writing experience and its poetical diction.

Thus,this research has been studied based on the following elements:

-Introduction to the poetry case.

1.Definition the term Presence and absence

2.Presence/absence of the topic

3.Presence/absence of the beloved

4.Presence/ absence of the time and the place

5.Presence / absence of the authority.

-Summary of the main results.

Key Words: Presence; Absence; Discourse; Structure;Poetic.

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.20.26

[1] Souad.benmamar@gmail.com, https://orcid.org/0009-0007-5152-361X
[2] hamidatakbel@gmail.com, https://orcid.org/0009-0007-4724-714

الحضور والغياب وتجلياتهما في الخطاب الشعري الجزائري

قراءة في قصيدة (حب من الجزائر)

سوعاد بن معمر

د، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر

حامدة تقبايت

د، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إثبات جدلية الحضور والغياب المشتغلة على بنية الخطاب الشعري لصالح خرفي من قراءة لقصيدته "حب من الجزائر" كاشفة عن التنوع الدلالي لتجربته الشعرية، وجوهرها الفني.

هذا وقد قادنا البحث إلى دراسته وفق العناصر الآتية:

-تمهيد للظاهرة الشعرية.

1.تعريف مصطلحي الحضور والغياب.

2.الخطاب الشعري.

3.حضور/غياب(الموضوع).

4.حضور /غياب(الحبيبة).

5.حضور/غياب(الزمان والمكان).

6.حضور غياب(السلطة).

-خاتمة تلخص أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: حضور؛ غياب؛ خطاب؛ الشعري؛ بنية.

1- المقدمة:

حظيت ثنائية الحضور والغياب باهتمام واسع من قبل النقاد، لأنها الظاهرة الشعرية التي توجّه مسار الخطاب الأدبي وتضمن تميزه ووظيفته الثقافية، فلاقت بذلك قدراً كبيراً من العناية من الأبحاث والدراسات التي قام بها النقاد والباحثون، ولأنها من أهم الظواهر الأدبية التي اصطحبت الحداثة في مجال النقد؛ إذ نجد أن الحضور يناقض الغياب إلا أن هذا التناقض يقوم على استراتيجية تخلق التفاعل الدلالي للنص الأدبي فيزيد قوةً.

ولا نستثني النص الشعري من حظ هذه الثنائية؛ إذ أنبنت القصيدة العربية قديماً وحديثاً عليها، هذه الظاهرة الشعرية التي غدت جدلية في نصها الشعري، ونحت اتجاه العمق في الدلالة، ممّا أغرى المتلقي- قارئاً كان أو ناقداً- وأثار فيه حبّ الكشف عن مواطن هذا الغموض من خلال سبر أغوار النص، وفكّ شفراته المتخفية وراء كلمات ورموز.

ولا ضير في أن نشير إلى ما تنبه إليه عبد القاهر الجرجاني وهو يتحدث عن معنى المعنى في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة مشيراً إلى طبيعة العمل الأدبي من أنه مجموعة من الرموز(الجرجاني، صفحة 325). ولا يخفى على أحد طبيعة هذه الرموز التي لم تخرج من كونها طلل، ووشم، ورسوم وغيرها قديماً، أما في النقد الحديث والمعاصر فقد لبست ثوب الحداثة والمعاصرة.

تستند هذه الظاهرة إلى مرجعين أساسيين، الأول معدوم والثاني موجود واقترابها من الأول، وابتعادها عن الثاني، كما أن ابتعادها عن الثاني يقربها من الأول. وبقدر ما تحققه من نجاح على مستوى التواصل فإنها ظاهرة تسعى إلى القبض على المرجع الغائب من النص أو الخطاب.

وهذه المعادلة الثنائية هي التي تحكم النص أو الخطاب وتحقق له وجوده وكيانه؛ إذ توجه مساره فتمنحه وظائف متنوعة على غرار الوظيفة الثقافية وكذا الوظيفة الاجتماعية ، ونحو الوظيفة السياسية، وعلى قدر قوة ظاهرة الحضور والغياب يكون الخطاب قوياً ومعبراً، وحيثما أنزلنا هذين المصطلحين فإن رمزية النص أو الخطاب تشكل حضورها القوي، إذ القاعدة التحتية تمثل غياباً وعندما تصاغ هذه القضية اللغوية في إطار جمالي نقدي فإنه يترتب عنها التمييز بين نوعين من العلاقات التي يمكن ملاحظتها في العمل الأدبي، علاقات تقوم بها العناصر الحاضرة وأخرى تتولى أمرها العناصر الغائبة. ومن هذه الزاوية نبه دي سوسير إلى هذه القضية فيمثل "الدال حضوراً مادياً في حين يمثل المدلول غياباً مادياً ولكنه حضور معنوي"(العرب، 2001، الصفحات 14 - 15).

إن الحيز الذي تشغله هذه الثنائية لا يقتصر على الدال والمدلول في استعمالاتهما وإنما يتجاوز ذلك إلى مجلات أخرى نحو الصور الفنية، والمواقف والانفعالات وكذا الشخوص وفضاءات الزمن والمكان، وكذا الأيديولوجيات.

وانطلاقاً من الحديث عن ثنائية الحضور والغياب حاولنا من خلال هذا البحث البحث عن تجليات ثنائية الحضور والغياب في الخطاب الشعري الجزائري، والصور التي اتخذتها في أبعادها الدلالية داخل الخطاب الشعري عند الشاعر الجزائري صالح خرفي، محاولين الانتقال من المعنى اللساني إلى المعنى النقدي الفلسفي.

2- الحضور والغياب: المفهوم والتشكّل في الخطاب:

1.2 تعريف مصطلحي الحضور والغياب:

أ.الحضور لغة واصطلاحاً :

ورد في لسان العرب لابن منظور:" نقيض المَغيب والغيبة، حضر يحضر حضوراً وحضارةً، ويعدى فيقال: حضره وحضِره يحضره، وهو شاذ، والمصدر كالمصدر، وأحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحضرة فلان وحضرته وحِضره ومحضره، وكلمته بحضرة فلان وبمحضرة فلان، وبمحضر منه أي بمشهد منه...والحضارة الإقامة في الحضَر ويقال على الماء حاضر وهؤلاء قوم حضار إذا حضروا المياه ومتحاضر، قال لبيد:

قالوُا دَيانَ وكل مغنى منهم * وعلى المياه محاضر وخيام**

وفي الحديث: قولوا ما يحضركم، أي ما هو حاضر عندكم موجود ولا تتكلفوا غيره "(منظور، د ت، الصفحات 197-198).

أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه اللفظة خمسة وعشرين مرة، وقد استعملت في الغالب بمعنى الحضور المادي نحو قوله تعالى:﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾(سورة.يس، صفحة 32)

أما الحضور اصطلاحاً: فيعرفه محي الدين العربي الحضور قائلاً:" الحضور حضور القلب بالحق عند غيبة الخلق"(الجرجاني ا.، صفحة 288)، ويؤكد على معنى حضور القلب حضوراً فعلياً.

والحضور عند الفلاسفة كون الشيء حاضراً، وهو نوعان حضور مادي يعني وجود الشيء بالفعل في مكان معين، وحضور معنوي يقصد به ذلك الحضور الذهني، وهو أن تكون صورة الشيء موجودة في الذهن يدركها إدراكاً مباشراً أو إدراكاً نظرياً وإن كان الذهن شاعراً بحضور الشيء، ومنهم قولهم الشعور بالحضور وبين الحضور المادي، والشعور بالحضور فرق كبير، لأنك قد تكون شاعراً بحضور الشيء وإن كان غائباً عنك، أو تكون غير شاعر بحضوره وإن كان بقربك (الفلسفي، صفحة 478).

هكذا نظر الفلاسفة إلى الحضور من زاوية إدراك الأمر ولو شعوراً أو إحساساً به.

ويطلق الحضور على القلب بالحق عند غيبة الخلق، وهو ضد الغيبة، لأن الغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحسن، بما روى عليه (تعريفات الجرجاني).

والحضورية مذهب فلسفي يقرر أن الذهن يدرك الوجود الموضوعي لبعض صفات المادة كما هي في الواقع(هاميلتون) وهي مرادفة للإدراكية، وهي مذهب القائلين إن أراك العالم الخارجي مكتسب ناشئ عن عمل عقلي، ولهذا المذهب صورتان أولاهما القول إن إدراك الأنا إدراك (الفلسفي، صفحة 478). ولا تختلف هذه المضامين عن سابقتها من المنظور الفلسفي، وتذكرنا بمقولة أنا أفكر أنا موجود، وأنا أدرك أنا حاضر.

ب. الغياب لغة واصطلاحاً: الغياب من الغيب وهو كل ما غاب عنك، نحو قوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾(سورة-البقرة-الآية03)، أي يؤمنون بما غاب عنهم مما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر البعث والجنة والنار وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب، وقال ابن الأعرابي: **يؤمنون بالله كالقول**: والغيب أيضا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلا في القلوب، ويقال سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه، وجاء في لسان العرب:" وغاب عني الأمر غيباً، وغياباً، وغيبة وغيبوبة وغيوباً ومغاباً ومغيباً، وتغيب: بطَنَ، وغيبه هو، وغيّبه هو، وفي الحديث: لما هجا حسان قريشاً قالت: إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أرادوا أن أبا بكر كان عالماً بالأنساب والأخبار، فهو الذي علم حسان، ويدل

عليه قول الرسول ﷺ لحسان: سل أبا بكر عن معايب القوم! وكان نسابة علامة، وقولهم غيبه غيابه أي دفن في قبره.."(منظور، د ت، صفحة 654).

وأنشد الأعرابي يقول(منظور، د ت، صفحة 654):

ولا أجعل المعروف حل إليه * ولا عدة في الناظر المتغيب**

أما الغياب اصطلاحاً: يعرفه صلاح فضل من باب العلاقات القائمة فيه قائلاً:" علاقات معنى ورمز فهذا الدال يدل على ذلك المدلول، وهذه الحقيقة تقتضي أخرى وهي أن الحداثة ترمز لفكرة، وتلك الفكرة توضح نفسية الشخصيات وهكذا أما علاقات الحضور فهي علاقات تصوير وتكوين"(فضل، 1998، صفحة 204).

والغياب هو غياب أي شيء يخطر في البال سواء كان غياب القلب أو الذهن أو الشخص أو أمر ما.

وورد في تعريف الغياب أنه(الفلسفي ا.، 1982، صفحة 130):

-ضد الحضور والشهود، وهو ألا يوجد الشيء في المحل الذي يعد وجوده فيه طبيعياً أو سوياً أو عادياً.

-وجود الغياب في طرف الاستقرار السكوني مرادف بطريقة الاختلاف أو طريقة التلازم في التخلف.

-الغياب في علم النفس هو الذهول أي غيبة القلب عن علم ما يجري ما حوله نتيجة فقدان التكيّف وتراخي الأشياء اللاإرادية.

2-2 تشكل ثنائية الحضور/الغياب في الشعر:

تعد الثنائية الجدلية(حضور/غياب) قانوناً يحتكم إليه الشعر، فهي"قانون ثاني يحكم الشعر ويعطيه حقه في الوجود، وهذه الثنائية أيضاً هي التي توجه مسار القصيدة الشعرية وتعطيها وظيفة ثقافية واجتماعية مميزة"(خمري، 2001، صفحة 14). فبقدر ما تكون جدليتها جلية وقوية بقدر ما يتجلّى معها النص الشعري ويقوى، ويمكن تقديم معنى آخر لها من قبيل التجلّي والتخفي، أو الظهور والضمور، ومن هنا يأتي إبداع الشاعر ويتميز عندما لا يصرّح، ويكتفي بالتلميح بإشارات تستوجب من القارئ إمعان النظر الثاقب لكشف المستور، فالدراسات التي تندرج ضمن النظرية الأدبية المعاصرة تتقاطع عند طرحها لمفهوم الغياب كمفهوم قرائي قرين بالوعي، وناتج عن ممارسة فعل القراءة الواعية بإمكانات الغياب ودلالاته في النص رغم اختلاف منطلقاتها وتميّز صياغتها" (عبد.الله، 2001، صفحة 88).

ولعل القراءة الواعية لدى القارئ لدلالات الحضور هي التي تستجلي دلالات الغياب؛ مما يجعلهما متصارعتين على متن النص الشعري، والذي يجعل هناك احتراماً للقاعدة وخرقاً لها في نفس الوقت، فالعلاقة بينهما هي تلك العلاقة التي أشار إليها "دي سوسير" في أكثر من مرة؛ بحيث عدّ الدال يمثل حضوراً مادياً، والمدلول يمثل غياباً مادياً وحضوراً معنوياً، ونفسه عند صلاح فضل في قوله: "الدال يمثل علاقة حضور، والمدلول يمثل غياباً بحضور معنوي" (فضل، 1998، صفحة 306).

واستناداً لما رآه النقاد فان الحضور يمثل المرجعية التي يتشكل منها النص الشعري، بينما يمثل الغياب المعنى المكنون في ذات الشاعر، والمراد منه إيصاله للقارئ.

وبالعودة للفهم التراثي لهذه الظاهرة نجده قد اقترب من الفهم الحديث، حيث يورد ذلك توفيق الزيدي في كتابه (مفهوم الأدبية في التراث النقدي) قائلاً: "سئل عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لمَ تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت آمل فيه لإسماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكن أريد الغائب والحاضر والراهن والعابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقبيل وبقلة التلفت، فلم يحفظ من

المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره"(خمري، 2001، الصفحات 15 - 16). وما جاءت ميزة سهولة الحفظ والثبت في الشعر عنها في النثر إلا حجة تدعم ديمومة حضوره عنه.

أما نظيره في الدراسات الحديثة فنلفيه في قول تودورف، نحو: "هناك عناصر غائبة من النص لكنها إلى حد كبير حاضرة في الذاكرة الجماعية لقراء فترة معينة، وهذا ما يمثل بطبيعة الحال علاقات الحضور(impresentia)، وفي مقابل ذلك نجد بعض المقاطع من كتاب-بما فيه الكفاية من الطول-تكون على مسافة معتبرة من البعد عن بعضها البعض، وتكون علاقتها غير مخالفة لعلاقة الغياب(absentia)"(القعود، صفحة 179).

يبدو لنا مما سلف ذكره؛ أن هذه الظاهرة الشعرية أو الثنائية الضدية(حضور/غياب) لم تختلف في معناها بين القدامى والمحدثين إلا في المصطلح وإثباته بالفهم التراثي أمام جدلية اللفظ والمعنى، وبالحضور والغياب بالفهم الحداثي.

وهكذا يجد القارئ نفسه في دوامة البحث عن تأويل الحضور إلى غياب مجتهدا في ذلك قدر المستطاع؛ فمثلاً "غياب الموضوع أو الفكرة الرئيسية من النص يعني حضور أبرز أسباب الغياب الدلالي فيه كما يعني في الوقت نفسه غياب أهم إضاءة يتعين بها مستقبل النص على كشف أبعاده الدلالية، والمتلقي في هذه الحالة يجهل ما تحيل إليه لغة النص، ولغة النص نفسها تبدو معزولة عن السياق الموضوعي، فلا يبقى أمام هذا المتلقي سوى الاجتهاد في تأويل المعنى وفق آليات منهجية أو غير منهجية بعد أن غاب الغرض أو الموضوع الشعري، ذلك أن غياب الموضوع يعني غياب الحقل الدلالي الأكبر"(خرماش، 1995، صفحة 104).

وتضليل القارئ بغياب فكرة النص أو موضوعه لا يحدث خللاً في توازن معانيه، وإنما يدخله في باب المسكوت عنه لإضفاء الصبغة الفنية والجمالية بأسلوب عرض لا يتأتى إلا بمنح اللغة وظيفتها الحقيقية، وهذا يقود إلى التأويل في سياق تعبيري معيّن؛ مما يجعل النص بين حدّي الانفتاح والانغلاق ضمن حدود رؤية القارئ، وفي ضوء ذلك يشير "بيرماشيري" إلى"أن الدراسة الحقيقية لا تبقى في حدود ما يقال وإنما تبحث عما يقوله النص دون أن ينطق به، والغياب في نظره هو الخاصية الحقيقية التي تحقق كينونة العمل الأدبي" (فضل، 1998، صفحة 86)

من هنا كان لزاماً على الأديب أن يغيب جوانباً معينة في نصه الشعري حتى يستفز ذهن القارئ، فاسحاً له مجال البحث عن الدلالات المكنونة وراء تلك الإشارات اللغوية، والتي تشترط لغة مؤسسة، وممارسة واعية لحدودها، تلك الوسيلة المعبرة والتي وجدت لتنزل المجهول مرتبة المعلوم.

ولما كان الشعر حركة تواصلية بين الأنا والآخر، فإن الطابع المعرفي هو الذي يكشف لنا عن ايديولوجيته، ولا يخفى علينا أن الشاعر حامل لثقافة معينة يسعى بها إلى تحقيق عالم مثاليته الخالية من أشكال الظلم والقهر تارة، ثم المعبّرة عن الرفض على سبيل التخفي والسكوت تارة أخرى.

هذا المسكوت عنه المحفوف بالجمالية الشعرية الأخاذة هو الذي أضاء السبيل بوهجه للقارئ، وأتاح له إثبات حضوره بتحديده لتلك الدلالات والإيحات، فتمكنه من إعادة بناء النص وفق أفق توقعاته وثقافته، وذوقه الأدبي القرائي النقدي، من هنا كان لنظرية القراءة والتأويل حضوراً جلياً، فالقارئ نقطة من المنظور يتحرك خلال الموضوعات، إنه يمثل نقطة رؤية متحركة داخل ما يجب عليه تأويله وهذا ما يحدد فهم الموضوعات الجمالية في النصوص الأدبية.

وبالعودة إلى مفهوم الخطاب في الدراسات النقدية نجده يتعالق مع ثنائية الحضور والغياب، كون هذا الخطاب هو تعبير عن المدلول بدوال معيّنة؛

فنجد الناقدة جوليا كريستيفا تعرّف الخطاب وهي تؤصّل لعلم النص، فترى أن الدلالة المقصودة في التحليل السميائي هي "خطاب داخل النص يقوم بخرق الدال والذات والتنظيم النحوي، فهو يهدم النص ليرسي نصاً جديداً، وهذا لا يتأتى إلا في ظل علم جديد تقترح له كريتسيفا اسم (سميائيات الخطاب)، وهو اتجاه ينطلق من مسألة العلاقة الاعتباطية بين الدوال والمدلولات للبحث عن علاقات يكون فيها الخطاب مبرزا" (الغدامي، صفحة 31).

ولعل جوليا كريستيفا تشير من هذه العلاقة بين عناصر الخطاب -والتي تتبنى التحليل السميائي- إلى خرق نظام البنية المتعارف عليه في البنيوية إلى استحضار الغائب.

ويؤسس عبد الله الغدامي تعريفه للخطاب من منظور كونه مرتبطاً بالمخزون الفردي، فيقول:" الخطاب هو ما يختاره المتحدث من ذلك المخزون ليعبر به عن فكرته أو رسالته"(مرتاض، صفحة 385).

وفي ظل ثنائية الحضور والغياب، وما تقوم عليه من علاقات خفية، ومعان ايحائية موغلة في الخفاء والغموض أثارت ذهننا التجربة الشعرية الجزائرية أو الخطاب الشعري الجزائري عند الشاعر الجزائري صالح خرفي(مرتاض، الصفحات 382-384).، والتي بدت لنا في مرتكزاتها الفنية والدلالية تغدو بالقصيدة الجزائرية نحو مسار الحداثة.

يظهر الثراء الفني في باكورة أعمال الشاعر صالح خرفي من ديوانه (أنتِ ليلاي)، والذي جمع الحس الثوري والوطني والتاريخي بين قصائده حتى قيل عن شعره إنه يتميز بكونه "يعالج قضايا وطنية وعربية معاصرة في نسج يقوم على التماس الديباجة الجميلة والإيقاع الطافح مما حمل بليغ حمدي على تلحين طائفة من قصائده"(خرفي، دت، صفحة 300).

ولقد اخترنا من بين قصائد الشاعر صالح خرفي قصيدة **"حب من الجزائر"** غائرين في دلالاتها العميقة نستنطق الحاضر بهدف تجلية الغائب، مشكلين بذلك علاقة تفاعلية مرتكزة على وجود النص الشعري بمرجعيته الأدبية من جهة، وثقافتنا القرائية من جهة ثانية، وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا على النحو الآتي.

3- الحضور والغياب في نص (حب من الجزائر):

3-1 التعريف بالشاعر صالح خرفي:

الدكتور صالح خرفي من مواليد القرارة بوادي ميزاب، وكان ميلاده سنة ،1932 وعندما بلغ السن الدراسي التحق بمدرسة جمعية العلماء بباتنة سنة 1938م ليواصل بها دراسته، ثم عاد إلى مسقط رأسه مدينة "القرارة" ليواصل دراسته بها حيث التحق بمدرسة الحياة، فحفظ القرآن الكريم سنة ،1946 ثم واصل دراسته الثانوية في معهد الحياة حيث درس العلوم الشرعية والأدبية، وعندما أصبح له محصول علمي من هذه العلوم غادر أرض الجزائر الى تونس، حيث انتسب إلى جامع الزيتونة سنة 1953 ومدرسة الخلدونية حيث أخذ على علمائها.(خرفي، دت، صفحة 300).

لم تنحصر حياته بتونس في العلم فقط، بل تعدته الى القيام بنشاطات أدبية وثقافية متنوعة من مجال الصحافة بكتابة مقالات في الجرائد، بالإضافة الى قنوات الإذاعة حيث كانت تبث قصائده الشعرية، كما كان من بين المنخرطين في منظمة اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين فرع تونس سنة، 1956 كانت حينها الثورة في أشدها مندلعة في سائر الوطن الجزائري، وللتعريف بهذه الثورة المباركة شد الشاعر صالح خرفي الرحال الى المشرق باسم مستعار، وشارك في الكثير من الندوات الفكرية والأدبية معرفاً بالقضية الجزائرية ملقيا قصائده المدوية وممجداً للبطولات التي يسجلها شعبه في المدن والجبال والصحاري.

في سنة 1957 حل بمصر واستقر بعاصمتها القاهرة والتحق بكلية الآداب في قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، حيث نال منها سنة 1960 شهادة ليسانس.

عاد من القاهرة إلى تونس في مهمة كلفته بها وزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة الجزائرية الى غاية استقلال الجزائر، حيث عاد الى الوطن وأسندت إليه مسؤولية العلاقات الثقافية بين الجزائر والبلاد العربية في وزارة التربية الوطنية.

لم يتوقف صالح خرفي عن طلب العلم والبحث والدراسة، حيث سجل رسالة ماجستير في نفس الجامعة التي تخرج منها وكانت تدور حول شعر المقاومة الجزائرية، ونوقشت رسالته وتحصل على شهادة الماجستير بتقدير امتياز، كما تفرغ سنتي 68-1969 لإعداد رسالة الدكتوراه التي خصصها لـ«الشعر الجزائري الحديث« ونال هذه الشهادة سنة 1970م.

عاد الى الجزائر وتولى سنة 1971 رئاسة معهد اللغة والأدب العربي وبقي في منصبه هذا الى سنة 1976م، حيث غادر الجزائر بعد أن تم تعيينه في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ليستقر في القاهرة الى بداية الثمانينيات، لتنتقل الجامعة العربية بمقرها ومصالحها المختلفة الى تونس، فينتقل صالح خرفي الى تونس الشقيقة بعد اتفاقية كامد يفيد المشؤومة. في تونس واصل نشاطه وتولى رئاسة تحرير» المجلة العربية للثقافة«سنة 1981 واستمر في إدارتها الى غاية التسعينيات من القرن الماضي.

أحيل على التقاعد وبقي الشاعر الدكتور صالح خرفي في تونس مواصلاً أبحاثه العلمية، خصوصاً تاريخ الحركة الوطنية التونسية وشخصية عبد العزيز الثعالبي، حيث أخرج حول حياة هذا المناضل المجاهد وهذا الزعيم كتاباً تحت عنوان» الشيخ عبد العزيز الثعالبي.. من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب «. ثم ألف كتابه الذي ظل مخطوطاً» الرسالة المحمدية «ومن إنتاجه الفكري المطبوع: » شعراء من الجزائر، صفحات من الجزائر، الشعر الجزائري الحديث، الجزائر والأصالة الثورية، شعر المقاومة الجزائرية، في ذكرى الأمير عبد القادر الجزائري، في رحاب المغرب العربي، صرخة الجزائر الثائرة، أطلس المعجزات، في الأدب الجزائري الحديث، عمر بن قدور الجزائري، حمود رمضان، محمد السعيد الزاهري، محمد العيد آل خليفة، الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في الحجاز.»

تتلمذ الدكتور صالح خرفي رحمه الله على أيدي شيوخ لهم ثقلهم العلمي والاجتماعي أمثال الشيخ بيوض، الشيخ عدوان، الأستاذ محمد علي دبوز، الناصر المرموري والشيخ إبراهيم آداود. كما كان الدكتور صالح خرفي من المعجبين بالإمام محمد البشير الإبراهيمي وكانت له علاقة به أيام تواجده بالقاهرة.أما شيوخه ومن أثروا فيه خارج الجزائر، خصوصاً أيام دراسته بالزيتونة، الشيخ الفاضل بن عاشور. وفي القاهرة كان صالح خرفي مستواه العلمي والمعرفي عالياً، وهذا يرجع الى التحصيل الذي حصله في معهد الحياة وجامعة الزيتونة، إضافة الى احتكاكه بكبار شيوخ العلم ورجالات الفكر في كل من الجزائر وتونس.

انتقل الدكتور صالح خرفي الى رحمة ربه في 24 نوفمبر من عام 1998 بتونس إثر مرض أصابه، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بالقرارة بوادي ميزاب.

2-3 حضور/غياب(الموضوع):إنّ أوّ ما يسطره الشاعر قبل ولادة قصيدته هو الموضوع، وهو الوعاء الذي يصبُّ فيه وجدانه وأحاسيسه مفصحاً عنها، فتراه تارة يظهره للقارئ بطريقته الخاصة، ويغيّبه تارة أخرى تاركا له فرصة البحث والتّنقيب عنه، موقعاً إيّاه في جدلية الحضور والغياب.

فبالنسبة لقصيدة (حب من الجزائر) لصالح خرفي التي يقدم من عنوانها مفتاحاً يمكننا من الولوج إلى مغاليقها، لاسيما كلمة "حب"، ثم تحديد المكان" الجزائر"، وما من شك أن في أن نؤول هذا الحب لغير المحبوبة والأهل، خاصة وأن لفظة الحبيبة تأخذ حيزاً واسعاً في الاستعمال اللّغوي بأبيات القصيدة؛ حيث يعقد خطاباً معها قائلاً:

حبيبة العمر ضمي بالوفاء يدي ** واستنزلي برفيف العين، حلم غدي

ويتجلى هذا الخطاب من توظيفه الثر لأفعال الأمر" ضمّي، واستنزلي، انطلقي...".

ولكن عند إمعان النظر وإعادة القراءة بتأنّ نجد الضبابية تلف موضوع القصيدة، أو بالأحرى الفكرة الرئيسية التي يريد إيصالها الشاعر من حضور الحقل المعجمي"الحبيبة"، والذي يستعين به في خطابه الموجّه إليها راغباً منها الانضمام إليه، والانتقال معه إلى مكان يجدان فيه الراحة الأبدية، ويبدو ذلك في قوله:

أسلمت كفي للإسراء، فانطلقي ** لمرفأ النّجم، منفانا، إلى الأبد

ولا يخفى على أحد أن شاعرنا الجزائري مولع بحب الجزائر وبخدمتها، حتى أنه بات يخاطب نفسه لتنال الشهادة في سبيل الحرية، وحضور (الإسراء) يدلل على غياب ذلك، أي أن الشاعر يدعو الله للفوز بتلك المرتبة، وفي مقام آخر يبرر شكواه وتذمره من هذه الدنيا المحاطة بشباك السوء، ومآسي الأرض، والتي تستدعي منه ومن انضمام حبيبته إليه الابتعاد وطلب المغفرة، ويتضح ذلك في قوله:

حبيبتي هذه الدنيا بأجمعها ** شباك سوء فهاتي الكف نبتعد

نغازل البدر في علياء بسمته ** ونستشف مآسي الأرض، من بعد

نستغفر الأفق للأرض التي غرقت ** في حمأة للدما محمومة الزبد

وليست الحبيبة إلا معادلاً موضوعياً للشهادة في سبيل حرية الجزائر، وليس الموضوع هو الحنين إلى الحبيبة ومرافقتها على غرار الشعراء القدامى في بكائهم، وإنما الشهادة لنيل حرية الجزائر، ومنه ضمان الحياة الأبدية في النعيم بالآخرة، أما الشكوى والتذمر من هذه الدنيا الموجعة، ثم طلب النفور منها والبعاد ما هو إلا رفض للواقع المرير الملفوف بالسواد والتيه، من هنا بدا لنا الموضوع الأساس غائباً وتبديله بموضوع الحبيبة والشكوى من ألم الدنيا حاضراً، فالحرية هي المعنى الحقيق الذي يريد الشاعر إرساءه في ذهننا نحن القراء، والحرية هي التي تحقق حلم غده الأفضل المفعم بفرح الأعراس.

3-3 حضور /غياب(الحبيبة): الحبيبة التي يتغزل بها صالح خرفي بقصيدته هذه ما هي إلا حضور مختلق لا وجود له، فالشاعر يبحث عن قبس نور وسط الظلام الدامس، وما هي إلا آمال لغد مريح، أو نهاية سعيدة وحياة أبدية سعيدة، وما الأفعال الأمرية ذات النبرة الخطابية، ثم الأفعال المضارعة(نستشف، ترمقنا، يحدنا، تلفنا،...)إلا إشارات واستشرافات لمستقبل زاهر يعيش في ظل الحرية.

ولم يكن صالح خرفي الشاعر الوحيد الذي كسر الطوق بالدخول إلى عالم المرأة (الحبيبة)، فقد سبقه شعراء كثر، ربما اختلف في طريقة التواصل معها عنهم في كونه أعاد إنتاج المعنى، وألبسه لباس البيئة الجزائرية المعاصرة، والمتزامن مع أوضاع البلاد، وهنا يحضرنا ما رآه محمد العيد آل الخليفة في ديوانه (أين ليلاي)-ومثله عند شاعرنا-عندما ضم اسم ليلى في عنوان ديوانه على أن ليلى رمز للحرية فتساءل عبد الحميد بن باديس عن ليلى العيد" قائلاً: فمن هي ليلى شاعرنا يا ترى؟ ليست له قوس ولكن له مروحة، فهل يعني هو الآخر مروحته، إن محمد العيد الذي يشعر شعور الشعب البلبل الغرّيد في قفص إلا الحرية فهل يوافق على هذا بعض من ينقصهم شيء من السياسة ليفهموا؟.

ولعلّ من الواضح أن شاعرنا لم يختلف مع شعراء عصره وبلده، ولم يختلف مع قضايا جزائره، فهو يستحضر الحرية التي تسبح في آماله وأحلامه الإنسانية من الحبيبة الغائبة بحقيقتها الحاضرة بمعانيها الرمزية، والتي ستكشف لنا عن الذات الشاعرة، هذه الوصال التي تجتمع بينه وبينها بعد الصعاب والحواجز في سبيل حرية الجزائر أرض المليون ونصف مليون روح، ويصرح بذلك في المقطع الخامس من القصيدة:

أرض الغديرين من دم ومن عرق * لم تحتكم فيهما يوما لمنتقد**

إن أومأت خفقة بالغيم حفّ بها * خفق البنود وخفق الروح في الجسد**

سليلة الثورة الحمراء مشعلها * مليون روح غفت في خلدها الأبدي**

عقد لنا الشاعر في قصيدته تلك العلاقة بينه وبين حبيبته، وهي صورة لحالة الغياب الذي يريد توضيحه من الكشف عن الإحساسات الدفينة، حيث نجده يلامس حضورها من لملمتها إليه دون بعثرتها، ثم الأخذ بيدها بعيداً عن هواجس الدنيا وشباكها سعيا إلى حرية غدٍ أفضل، ولعل قوله:''...كأننا ريشة في كف عاصف في عالم بانعدام الوزن منفرد'' دليل على مقصده.

بالإضافة إلى ذلك نجد لفظة(وحيدتي) لها حضوراً قوياً، وهي إشارة منه على أنه لا يملك غير نفسه في سبيل هذا البلد النفيس بتقديمها شهادة له، شادا عضده بها للنجاة من الضياع في الأفق الذي لم يجد منه ظلاً لحبهما غير العودة إلى الروضة، مما يوحي لنا بالقبر على دعائنا الدائم في أن يكون روضة من رياض الجنة، نحو قوله: '' وحيدتي وضياع الأفق....هيا إلى روضة غفو مرابعها...''.

فالحبية تمنحه القوة والإرادة في تحقيق طموحاته في الحياة، وهي **حاضرة غائبة** تمده بذلك لإثبات ذاته الشاعرة.

4-3 حضور/غياب(الزمان والمكان):لم يخرج الزمان عن جدلية الحضور والغياب بهذه القصيدة لصالح خرفي إذ نستقرئ ذلك من التوظيف اللغوي(غدي، الدنيا، الغربة السوداء...) معان ودلالت عامة، والتي يتجلى لنا منها غياب الزمن المقصود، ذلك الزمان الذي يسعى الشاعر إلى إيصاله لنا، فهو لم يصرح به و إنما ترك لنا فرصة البحث والتفتيش عنه وتأويله، وعليه فالزمن المراد هو الغد المتجرّد من اضطهاد السلطة والعذاب، هذا الغد الذي يحقق من الطموح والآمال، ويبتعد عن كل صعاب الدنيا وشباكها، وينقله من الغربة السوداء والضياع، والشتات إلى روضة تخفق لها الروح وتسعد، ولعل هذا البيت الشعري يعبر عن ذلك في مكنوناته: "هيا إلى روضة...جزائر الأمل الزاهي"، على أنه لا يتحقق له ذلك إلا في الجزائر الزاهية.

وبهذا نلفي لغته الحاضرة كاشفة لنا بمفرداتها غياب الزمان الذي يصبو إليه، هو زمن الأمل والهناء بعد حصول بلده على الحرية وبعد عناء وظلم ساد البلاد أيام الاستعمار.

أما بالنسبة للمكان فقد تعددت صور وجوده بالنظر إلى القصيدة، فنجد منها ما يعبّر عن الانفتاح، ومنها ما يعبر عن الانغلاق، ومنها ما يعبر عن الأصل والمنبع.

فحضور المكان نحو:(مرفأ النجم، منفانا، روضة...) إنما دلّ على غياب مكان مفتوح يحمل إشارات واضحة إلى التخلص من كل ضيق ونكد، وكل ما يسئ، والنظر إلى أفق غد مشرق، ولا يتحقق ذلك إلا في ضوء الحرية، والتي لا تحصل إلا بتسخير نفسه فداء وشهادة في سبيلها، ونيل الجنة الدنيوية والأخروية الأبدية، وكأنه يقول فداك نفسي يا جزائر.

أما المكان المغلق نحو (مآسي الأرض، الأفق للأرض..." دلالة على غياب الحرية المسلوبة الغارقة في حمأة الدماء.

أما الجزائر، وأرض الغديرين، وعش، والكثبان دافئة، ربا الجزائر.."؛ ما هي إلا حضور لذكريات غابت عنه في غير أرض الجزائر، أرض المليون ونصف مليون شهيد، أرض الدم والعرق، وسليلة الثورة حمراء التي تنبت من حريتها الآمال والطموحات والغد المشرق، وهي الأرض الأصل والمنبع، والتي يحن إليها من أعشاش الغزل وخمائلها وصحرائها الدافئة.

حضرت الأماكن المفتوحة مغيبة الحرية المرجوة والحرية المثمرة في حضور الأماكن المغلقة المعبرة عن غياب الاضطهاد والقهر والمآسي، والتي لا يمكن لها أن تندمل إلا بحضور المكان الأصل والمنبع بكل آلامه التي مرّ بها، فغاب الدفء واشتد الشوق والحنين الذي يرنو إليه دمعا ساعيا للنعيم برباه، ربا الجزائر.

5-3 حضور/غياب(السلطة): تتجلى السلطة في النص من **جدلية الابتعاد والعودة** في آن واحد، فالأولى عبّر عنها **بشباك الدنيا وصعابها**، ورمق الأفلاك له ولحبيبته حينما طلب **بالحرية والانفراد** بعالم متميز، إلى جانب ضياع الأفق رغم وجوده مع محبوبته، إلا أنه لم ينجح في ما يطمح إليه من راحة، فهروبه من سلطة البقاء وطلبه الابتعاد إنما رفض لحرية غير مثمرة في بلاده الجزائر، مما أدى به إلى الإيمان بأن النجاح يكون بالعودة إليها، فهي البلد الوحيد الذي يغفر لخطاياه نحو قوله: لكل أرض خطايا الحب يغفرها.

4- الخاتمة:

استطاع الشاعر"صالح خرفي" أن يعبّر عن تجربته الشعورية الصادقة بلغة سلسة، وديباجة أنيقة في قصيدته "حب من الجزائر"، والتي وإن كانت تحمل الطابع الوطني بتجليها الوجداني والروحاني إلا أنها جعلت القارئ يمعن النظر في مكنوناتها الغائبة، فدعاه الأمر إلى التنقيب عن ذلك من إشارات حاضرة في علاقة جدلية لا تبرح دلالات النص؛ حيث سعت هذه الثنائية_حضور/غياب) إلى الكشف عن **الحقيقة والتجاوز عن الوجود العقلي للأشياء**، هذه الجدلية التي اشتغلت وفق قيم طرحها النص فتصارعت، نحو الموضوع، والحبيبة، والزمان، والمكان، ثم السلطة، فأضحى كل من الحضور والغياب يتسابق في النص ليأخذ الحظ الأوفر والأوسع.

5- قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

-مصادر ومراجع البحث:

1. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، دار المدني، جدة.
2. الظاهرة الشعرية الحضور والغياب، حسين خمري، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.
3. لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر، بيروت، دط، دت، مج4.
4. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشروق، بيروت، ط1، 1998.
5. الظاهرة الشعرية (الحضور والغياب)، حسين خمري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
6. المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، دار الكتاب اللساني، بيروت، لبنان، 1982، ج2.
7. الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، عبد الرحمن محمد القعود.
8. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 86.
9. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، عبد الله الغدامي.
10. معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، عبد المالك مرتاض، دار هومة، الجزائر.
11. الشعر الجزائري الحديث، صالح خرفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص300.

- **المقالات:**

1. المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الأدبي محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع38، 1995.
2. إستراتيجية الغياب والحضور في شعر سعدي يوسف، مدخل تناصي، سيد عبد الله، مجلة الألف، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، جمهورية مصر العربية، ع21، 2001.